ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Researcher: Rawaa Majid Rahim
University: University of Wasit.
College : College of Education .
Email:
raw709660@gmail.com

Prof. AqeeI AbduIIah Yassin
University:University of Wasit
College : College of Education.
Email:
aqeelyaseen@uowasit.edu.iq

Keywords: Military Mutinies, Military, Caliphate, Subjects, Revolutions, Abbasid Caliphate.

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	24	Oct	2023
Accepted	21	Dec	2023
Available online	1	Jan	2024

Military consultations in the Abbasid era (232-334 AH / 847-946 AD)

Abstract:

This study placed significant emphasis on the Abbasid Caliphate and its military institutions concerning consultation. They focused on the selection of army elements, the choice of leaders, campaign maneuvers, and movements during their duties. This attention was due to the direct correlation between the success or failure of this institution in performing its duties and the strength or weakness of the military establishment. While the Abbasids heavily relied on military force as a means to attain power, this force did not necessarily represent their tool in dealing with the various circumstances and developments witnessed during their rule. After establishing the foundations of their rule, they realized that the military could not indefinitely enforce their authority over the nation. They recognized that resorting to it was contingent upon extreme necessities. The decisions and stances of the caliphs appeared to represent the caliph's will and reflect their perspective, conflicting with the decision-making mechanisms adopted by most Abbasid caliphs during this period. The exclusivity of opinion was not something one could bear sole responsibility for. The caliphate faced numerous challenges internally and externally, leading to a critical juncture in its fate. Therefore, we divided the study into two sections: the first addressed revolutions and opposition movements, while the second focused on military mutinies and princes' rebellions.

© 2024 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/

المشورات العسكريّة في العصر العباسيّ (232–334هـ/847–946م)

الباحثة رواء ماجد رحيم/ جامعة واسط/ كلية التربية
أ.د. عقيل عبدالله ياسين/ جامعة واسط/ كلية التربية

الملخص :

أولت هذه الدراسة الخلافة العباسيّة ومؤسساتها العسكريّة اهتماماً كبيراً بالمشورة، من حيث اختيار عناصر جيشها، واختيار قادتها، وسير حملاتها، وتحركاتها أثناء تأدية واجباتها وذلك؛ بسبب ارتباط نجاح أو فشل هذه المؤسسة في أداء واجبها بقوة وضعف المؤسسة العسكريّة، كما إنَّ اعتماد العباسيين على القوة العسكريّة سبيلاً للوصول إلى السلطة لا يعني بالضرورة أن هذه القوة مثلت أداتهم في التعامل مع كل الحيثيات والتطورات التي شهدتها مدة حكمهم، إذ لاشك أنهم قد أدركوا بعد أنْ ثّبتوا أسس حكمهم، أن القوة العسكريّة لا يمكن أنْ تفرضهم على الامة لأمد طويل، وأنَّ اللجوء إليها يتحدد في الضرورات القصوى، وأنَّ ما بدت عليه قرارات ومواقف الخلفاء من أنها تمثل إرادة الخليفة، وتعبر عن وجهة نظره وهذا أمر يتنافى وآليات اتخاذ القرار وصياغته التي انتهجها معظم خلفاء بني العباس في هذه المدة، إذ أن الانفراد في الرأي أمر لا يطيق أنَّ يتحمل مسؤوليته لوحده، إذ واجهت الخلافة الكثير من التحديات على الصعيدين الداخلي والخارجي ما جعل مصيرها على مفترق طرق، ومن هذا المنطلق ارتأينا تقسيم الدراسة الى مبحثين تناول المبحث الأول: الثورات وحركات المعارضة، بينما تناول المبحث الثاني: شغب الجند وتمرد الأمراء.

الكلمات المفتاحية: شغب الجند، العسكرية، الخليفة، الرعية، الثورات، الخلافة العباسية.

المقدمة :

واجهت الخلافة العباسية معارضة ذات اتجاهات متعددة وواجهات مختلفة، كان لكل منها أسلوبها في التعبير عن مخالفتها للخلافة، منها ما هو استمرار لما شهده العصر العباسي الأول، وأخرى استجدت بفعل التطور السياسّي والحضاريّ في هذه المدة، لذا تعددت أشكال المشورة العسكرية ومنها: الثورات وحركات المعارضة، و شغب الجند وتمردات الأمراء، فنجد لجوء المستشير سواء أكان خليفة أو امير أو سلطان أو قائد إلى طلب الرأي والمشورة ومشاركة من له خبرة وتجربة في تشكيل موقف أو اتخاذ قرار، لضرورة قصوى؛ بسبب عجزٍ في القدرة أو جهلٍ بمجريات الامور.

نجد لدى الخليفة استعداداً وقبولاً للتخلي عن موقف أو قرار تمخض عن ردة فعل سريعة تجاه حدث معين، خشية من الوقوع في الاثم، أو أنْ يترتب على قراره نتائج يتحمل مسؤوليتها لوحده، كمشاورة الخليفة المتوكل (232ــ247هـ/247ــ862م) لرجاء الحضاري(رجاء الحضاري: وهو رجاء بن أبي أيوب

الحَضَاري ولاه الواثق بالله قتال أبي حرب المبرقع الذي خرج بفلسطين سنة(226هـ/841م) وقدم بعد ذلك دمشق لحرب من قوم أهل الغوطة فظفر بهم ثم قدم مع المتوكل حيث دخل دمشق. ينظر: الذهبي،1961،ص397) بقوله:" يا رجاء، أماّ ترى ما خرج إليه هؤلاء؟ فما الرأي عندك ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قد كنت مشفقاً في هذا السفر من مثل هذا، فأشرت بما أشرت من تأخيره، فمال أمير المؤمنين إليه، وقال: دع ما مضى وقل الآن مما حضر برأيك، فقال: يا أمير المؤمنين، توضع الأعطية، فقال له: فهذا ما أرادوا، وفيه مع ما خرجوا إليه ما يعلم، قال: يا أمير المؤمنين، مُرْ بهذا فإن الرأي بعده، فأمر عبيد الله بن يحيى بوضع الأعطية فيهم، فلما خرج المال وبدئ بإنفاقه دخل رجاء فقال: مر الآن يا أمير المؤمنين بضرب الطبل للرحيل إلى العراق، فإنَّهم لا يأخذون مما أخرج إليهم شيئاً، ففعل ذلك، فترك الناس الأعطية فرجعوا حتى أنَّ المعْطِي ليتعلق بالرجل ليعطيه رزقه فلا يأخذه)"المسعودي،1984،ص94).

وكانت أغلب المشورات العسكرية تعقد في ساحات المعركة إذ يبادر الخليفة أو الأمير أو القائد إلى طلب الرأي والمشورة، فيتطوع أحدهم لإبداء المشورة والنصح له، وعادةً ما يكون من السلاطين الأتراك أو البويهيين أو السلاجقة فيكون الخليفة أحياناً ملزم بالأخذ بأي رأي حتى لو لم يكن مقتنعاً بجديته وجدواه؛ لان هؤلاء هم المسؤولون عمّا يتمخض من نتائج عن هذا الرأي والقرار(علي ادهم، 1940،ص86).

المبحث الأول: الثورات وحركات المعارضة:

تعرضت الدولة العباسية إلى موجة من الأخطار الداخلية والخارجية متمثلة في بروز قوى سياسيّة معارضة سعت إلى مواجهة سياسة الخلفاء العباسيين تجاه الاوضاع العامة في الدولة، وقد ظهرت تلك القوى نتيجة لتردي الواقع السياسيّ والاقتصاديّ لبعض شرائح المجتمع وقتذاك، وكإجراء لازم لمواجهتها اتخذت الخلافة اجراءات من شأنها أنْ تدافع عن نفوذ الدولة وتمكنها من فرض سيطرتها على الاقاليم التابعة لها.

وقد لعبَ المستشارون دور بالغ الأهمية في تحقيق ذلك، وكانت من ابرز تلك القوى أهل البجة(البجة: أسم يطلق على الشعب الذي يسكن ما بين ساحل البحر الاحمر ونهر النيل غرباً ومن المنحدرات الشمالية هضبة الحبشة في الجنوب إلى شمال اسوان، وهم من أقدم الشعوب الافريقية ويعود نسلهم إلى كوش بن حام بن نوح. ينظر: اليعقوبي، د.ت،ص192)، كانت بلاد البجة بلاد مهمة جداً للمسلمين لأنها تمتاز باحتوائها على معادن ذهب، فكانوا يقاسمون من يعمل فيها ويدفعونها إلى عمال السلطان في مصر كل سنة عن معادنهم أربعمائة مثقال تِبْر(التبر: الذهب كله، وقيل: هو من الذهب والفضة وجميع جواهر الأرض من النحاس والصفر والشبه والزجاج وغير ذلك مما استخرج من المعدن قبل أنَّ يصاغ ويستعمل، وقيل: هو الذهب المكسور. ينظر: ابن منظور،1414،ص88)، قبل أنْ يطبخ ويصفى، وقد بقيت العلاقة على ذلك المنوال حتى توترت

بنقض أهل البجة للواجبات المالية المفروضة عليهم للدولة العباسية، وقتها وقعت هدنة بينهم وبين المسلمين ألزمت الطرفين على عدم غزو بعضهم للبعض الاخر(أسمها البقط: وهي الهدنة التي عقدت بين المسلمين والبجة بعد أنَّ أغاروا البجة على صعيد مصر، فصالحهم أبن الحبحاب وكتب لهم عقد نص على أنَّ يدفعوا ثلاثمائة من الأبل الصغيرة، وعلى أنَّ يجتازوا الريف تجاراً غير مقيمين وأنَّ لا يقتلوا مسلماً أو ذمياً ولا يأووا عبيد المسلمين، وكذلك أنَّ يحترم البجة الاسلام ولا يذكروه بسوء ولا يعينوا أحداً على الاسلام وأنَّ لا يهدموا شيئاً من المساجد التي بناها المسلمين، ولكن البجة نقضت المعاهدة فيما بعد. ينظر:النويري،2004،ص733؛ المقريزي،1978،ص352)، ومن ذلك الحين لم يتعرض أهل البجة للمسلمين(المسعودي،1984،ص168؛ محمد عوض، د.ت، ص246)، وفي أيام الخليفة المتوكل(232ـ247هـ/847ـ862م) أمتنعت البجة عن دفع الخراج، ولم يكتفوا بذلك بل انهم أغاروا على أسوان(أُسْوَانُ: وهي مدينة كبيرة وكورة في آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل في شرقيه، وهي في الإقليم الثاني، طولها سبع وخمسون درجة، وعرضها اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة، وفي جبالها مقطع العمد التي بالإسكندرية. ينظر: ياقوت الحموي،1979،ص191) سنة(241هـ/856م) في خضم ذلك عزم المتوكل على مواجهتهم لبسط نفوذ الدولة في المناطق التي سيطروا عليها والحصول على الاموال المفروضة عليهم، ولتحقيق ذلك اختار رجلاً من خدمه يقال له يعقوب بن ابراهيم الباذغيسي (ت241 هـ/856م)(الباذغيسي: وهو مولى الهادي ويعرف بقوصرة، نصبه المعتصم صاحب خبر يكتب بخبر العسكر الذي وجهه لقتال المازيار في السنة(224هـ/839م) ثم ولاه المتوكل بريد مصر والإسكندرية وبرقة ونواحي المغرب. ينظر: الصفدي،2000،ص93) مولى الخليفة الهادي (169ـ170هـ /786ـ787م)، وجعل إليه بريد مصر والاسكندرية وبرقة ونواحي المغرب (مسكوية،1998، ص 127؛ ابن الاثير،1966،ص151؛ ابن كثير،1998، ص367).

وعندما ولَّي يعقوب أمر مصر وجد ما آلتْ إليه الأمور بين البجة ومصر، ولاحظ استفحال أمر البجة واضطهادهم للمسلمين ونقضهم للعهد الذي كان بينهم وبين المسلمين، فأرسل كتاب إلى المتوكل يوضح به مستجدات الأمور مع البجة، وذكر الطبري(ت310هـ /923م) ما نصَّ عليه الكتاب الذي أرسله يعقوب بن إبراهيم إلى الخليفة المتوكل وجاء فيه:" ... فكتب يعقوب إلى أن البجة قد نقضت العهد الذي كان بينها وبين المسلمين، وخرجت من بلادها إلى معادن الذهب والجوهر وهي على التخوم فيما بين أرض مصر وبلاد البجة، فقتلوا من المسلمين ممن كان يعمل في المعادن الذهب والجوهر، وسبوْا عدد من ذراريهم ونسائهم، وذكروا أن المعادن لهم في بلادهم، وأنهم لا يأذنون للمسلمين في دخولها، وأنَّ ذلك أوحش جميع من كان

يعمل في المعادن من المسلمين فانصرفوا عنها خوفاً على انفسهم وذراريهم، فأنقطع بذلك ما كان يؤخذ للسلطان بحق الخمس من الذهب والفضة والجوهر الذي يستخرج من المعادن)"الطبري،1387،ص204).

وبعد أنْ وصل ذلك الكتاب شاورَ الخليفة المتوكل أتباعه في أمر البجة، فأخبروه أنَّ أهل البجة قوم أهل بدو واصحاب إبل وماشية، وأنَّ محاولة الوصول إلى بلادهم صعب لا يمكن للجيوش أنْ تسلك هذا الطريق؛ لأنَّها صحاري وأنَّ مسافة الطريق تستغرق شهر في أرض قفر وجبال وعرة ولا يوجد فيها ماء ولا زرع ولا حصن، فبعد مشاورة الخليفة المتوكل لأصحابه أمتنع عن مواجهة البجة؛ بسبب تلك الصعوبات وتجاهل أمرهم في بادئ الإمر لعدم ثقته بجاهزية جيشه(مسكوية،1998،ص127؛ ابن الاثير،1966،ص151)، وبعد أنْ اصبح أمرهم يتزايد وجرأتهم مع المسلمين تشتد حتى أنَّ أهل الصعيد(الصعيد: بلاد واسعة كثيرة فيها عدة مدن عظام، منها أسوان وهى أوله من ناحية الجنوب، وقوص وقفط وإخميم والبهنسا وتنقسم ثلاثة أقسام: الصعيد الأعلى، وهو من أسوان إلى قرب إخميم، والأوسط من إخميم إلى البهنسا، والأدنى من البهنسا إلى قرب الفسطاط. ينظر: البغدادي،1412،ص841) من أرض مصر بدأوا يخافون على انفسهم وذراريهم منهم، من أجل ذلك اضطر المتوكل إلى اتخاذ الاجراءات اللازمة للتخلص من خطرهم فقام بتعيين محمد بن عبدالله المعروف بالقميّ(القمي: هو محمد بن عبدالله القمي قائد شجاع، من الولاة في العصر العباسي، كان يتولى خفارة الحاج في كثير من السنين، ولما دخل عنبسة بن إسحاق مصر والياً عليها سنة (238هـ/853م) جعله على شرطة وسافر إلى بغداد، وقد ضج أهل الصعيد من غارات البجاة عليهم، فولاه المتوكل حربهم في الصعيد الأعلى سنة (241هـ/856م). ينظر: ابن خلكان، د.ت،ص458) من أجل محاربتهم، وقد أمر الخليفة المتوكل بتجهيزه جميع ما يحتاج إليه، وكتب إلى حاكم مصر عنبسة(عنبسة: هو عنبسه بن أسحاق بن شمر بن عيسى بن عنبسه الأمير أبو حاتم وهو من أهل هراة وهي مدينه في افغانستان وقد تولى أمرة مصر وقد ولاه الخليفة المنتصر العباسي. ينظر: الصفدي،2000،ص٦٦) بتولية القمي على الصعيد الأعلى وأنْ يمده بالجند والشاكرية المقيمين بمصر(النويري،2004،ص288؛ ابن كثير،1998،ص357.).

بعد أنْ خرجت جيوش المسلمين بقيادة القمي تواجهوا مع جيوش البجة وعندها تميز المسلمين بجاهزيتهم من حيث القوة والبسالة وأعدادهم الكثيرة، إضافة إلى انضمام العديد من المتطوعة وعمال المناجم وقد وصل المسلمون إلى أماكن العدو التي كان يعمل فيها الذهب، وتواجهوا مع البجة أيام متوالية فيتناوشون بين الحين والاخر؛ لأنَّ خطة ملك البجة هي الإطالة لكي ينفذ لدى المسلمين الزاد والمؤن، فلا يكون لهم قوة ويموتون هزلاً، فيأخذهم البجة بالأيدي، وعندما توهموا البجة أنَّ المسلمين قد نفذت مؤنهم إلاّ أنَّهم غفلوا عن وصول الإمدادات للمسلمين عبر مراكب السبعة التي وصلت من سواحل البحار في موضع يعرف بصنجة(صَنْجَةُ: وهو نهر بين ديار مضر وديار بكر عليه قنطرة عظيمة من عجائب الأرض. ينظر:(ياقوت

الحموي،1979،ص425؛ البغدادي،1412،ص853)، وعلى هذا الاساس فشلت خطة ملك البجة في تجويع المسلمين، فضلاً عن ذلك كانت أبلهم التي يحاربون عليها إبل شرسة غي منتظمة تكثر الفزع والرعب من كل شيء، فلما رأى ذلك القميّ جمع اجراس الإبل والخيل التي كانت في عسكره كلها فجعلها في أعناق الخيل ثم اقتتلوا مع البجة قتالاً شديداً فنفرت إبلهم لأصوات الأجراس واشتد رعبهم فهربوا إلى الجبال والاودية، ثم طلب ملك البجة الأمان فأعطاه القميّ ذلك على أنْ يدفع الخراج الذي امتنعوا عن أدائه لمدة أربع سنين، وهكذا انتصرت جيوش المسلمين على البجة(الطبري،1387،ص205–206؛ينظر:فوزي،الخلافة العباسية،2009،ص292؛ الدوري، 1945، ص45).

ويتضح من ذلك أنَّ لاستشارة أتباع المتوكل عليه يقصد هنا الخليفة أثراً كبيراً في التخلص من البجة وإزالة خطرهم فلولا هذه المشورة لزاد خطرهم وتمادوا على المسلمين وتسببوا في متاعب للدولة العباسية بصورة عامة ولِمصر بصورة خاصة وتعكر صفو العلاقات الخارجية على المدى البعيد، كما أنَّ استماع الخليفة للرأي الآخر، بغض النظر عن قبوله أو رفضه، دلالة على إرساء الخلافة لمفهوم القيادة الجماعيّة لاسيما في مواجهة الصعاب والازمات التي تشكل تحدياً للخلافة، ولعل الخبرة والتجربة والمعرفة بسير الرجال وصفاتهم، فضلاً عن الولاء من المؤهلات التي تتيح للآخرين الاسهام في هذه القيادة وتجد قبولاً لدى الخلافة.

وفي هذا المجال شاور الخليفة المنتصر بالله (247–248هـ / 862–862م) وزيره ابن الخصيب ففي سنة (248هـ /862م) أشار الوزير على الخليفة أنْ يرسل القائد العسكري وصيف التركي للغزو في بلاد الروم وكان سبب ذلك أنَّه كان بين احمد بن الخصيب، وبين وصيف شحناء وتباغض، فحرض هذا الوزير المنتصر بالله على وصيف، فأمر المنتصر بإحضار وصيف، فلما حضر قال له:" قد أتانا عن طاغية الروم أنَّه أقبل يريد الثغر، وهذا أمر لا يمكن الامساك عنه، ولست آمنه أنْ يهلك كل ما مر به من بلاد الإسلام، ويقتل ويسبي، فإماّ شخصت أنت، وإماّ شخصت أنا، فقال بل أشخص انا، يا أمير المؤمنين، فقال لأحمد بن الخصيب أنظر إلى ما يحتاج إليه وصيف فأتمه له فقال يا أمير المؤمنين قال ما نعم؟ قُم الساعة وقال لوصيف مُرْ كاتبك أنْ يوافق على ما يحتاج إليه ويلزمه حتى تزيح علته فقاما)"الطبري،1387،ص407؛ مسكوية ،1998، ص313؛ ابن الجوزي،1992،ص3) .

هنا لعبت العداوة والبغضاء بين وصيف وأحمد بن الخصيب دوراً في ترشيح وصيف للقيادة، فقام أحمد بن الخصيب بتجهيزه للخروج إلى الحملة، وأختار له أثني عشر ألف رجل، وكانَ على مقدمته مزاحم بن خاقان(ت254هـ/868م)(مزاحم بن خاقان بن عرطوج أبو الفوارس قائد من ولاة العباسيين تركي الأصل بغدادي المنشأ، تولى أمارة مصر ظهر في عهد المنتصر وشارك مزاحم في حملة وصيف التركي ضد

البيزنطيين. ينظر: الذهبي،1993،ص534)، أخو الفتح، وكتب المنتصر بالله إلى محمد بن عبد الله بن طاهر(ت254هـ/868م)(أبو العباس محمد بن عبدالله بن طاهر الخزاعي عاش من بغداد وكانت وظيفته ولي إمرة بغداد منذ زمن المتوكل. ينظر: الصفدي،2000،ص333)، ببغداد يعلمه ذلك، ويأمره أنْ ينتدب الناس إلى الغزاة ويرعبهم فيها، وأمر وصيفاً أنْ يوافي ثغر مَلَطْية، وعين على نفقات العسكر، والمغانم، والمقاسم أبا الوليد الحريري البجلي، ولما سار وصيف كتب إليه المنتصر يأمره بالمقام بالثغر أربع سنين يغزو في أوقات الغزو منها، إلى أن يأتيه رأيه(ابن الاثير،1966،ص111؛ ابن خلدون،1971،ص283).

يتبين أنَّ قرار الحرب أتخذ لإبعاد القائد العسكري وصيف بعد خلافه مع وزير المنتصر بالله أحمد بن الخصيب، وكذلك لم يستطع الخليفة إصدار قرار مباشر بإرسال القائد العسكري وصيف التركي إلى حرب الروم، إنّما ترك الخيار بخصوص قرار الحرب والذهاب إليها للقائد وصيف وهذا يظهر مدى قوة وتأثير القادة العسكريين في قرار الحرب.

ومن التحديات التي واجهتها الخلافة العباسية والتي استجدت خلال المدة مجال البحث وأسهمت المشورة في تغيير سير الأحداث فيها ثورة يحيى بن عمـر العلوي (ت250هـ/864 م)(وهو يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(u) وهو أحد أئمة الزيدية خرج سنة(235هـ/850م) في أيام المتوكل العباسي في خراسان فحبسه المتوكل ثم تركه فخرج مرة ثانية في عهد المستعين بالله في الكوفة ودعا إلى الرضا من آل محمد فحاربه محمد بن عبدالله بن طاهر فقتله وحمل رأسه إلى سامراء. ينظر: الاصفهاني، د.ت،ص639؛ القاضي النعمان،د.ت،ص346) سنة (250هـ/864م) ضد الدولة العباسية بمعية الزيدية(الزيدية: هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب(u)، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة(u)، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلاّ أنَّهم جوزوا أنَّ يكون آل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة، أنَّ يكون أماماً واجب الطاعة، وجوزوا أيضاً خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال، ورأوا إمامة المفضول مع قيام الأفضل. ينظر: الشهرستاني،1982،ص179)، التي حدثت نتيجة تدهور الاوضاع العامة في الدولة وتسلط الأتراك على مقدرات الدولة وانتشار الفقر والحاجة بين فئات المجتمع يقابلها انشغال الخلافة العباسية بأمور اللهو والطرب فقد حدثت العديد من الثورات.

فقد كان يحيى بن عمر من أحفاد الإمام عليّ بن ابي طالب(u) ويكنى أبو الحسن وكانت أمه فاطمة بنت الحسين بن عبدالله بن اسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب(u)، وعلى ذلك فهو يعود بنسبه إلى الإمام عليّ بن ابي طالب(u) من كِلا الأبوين وقد ظهر بالكوفة أيام المستعين العباسيّ وكان سبب ظهوره كما ذكر بعض المؤرخين بقوله:" إنَّ أبو الحسين يحيى بن عمر نالته ضيقة ولزمه دين ضاق به ذرعاً فلقي عمر بن فرج وهو يتولى أمر الطالبيين عند مقدمه من خراسان أيام المتوكل وكلمه في صلة، فأغلظ له عمر في القول

فحبسه ولم يزل محبوساً إلى أنْ كفل به أهله فأطلق"(الاصفهاني، د.ت، ص508؛ ابن الاثير،1966،ص126؛ الطقطقي،1977، ص240؛ الخضري بك،2003، ص258).

ثم توجه بعد ذلك إلى بغداد، فأقام بها ولكن حالته لم تتحسن بل ساءت لذا رجع إلى سامراء فالتقى بوصيف التركي وطلب منه أنْ يجعل له رزقاً فأغلظه وصيف وقال له:" أي شيء يجري على مثلك)" الطبري،1387،ص428) فعاد مجدداً إلى الكوفة وكان بها أيوب بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان(ت250هـ/864م)(وهو أيوب بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان الهاشمي ولاه محمد بن عبدالله بن طاهر الخزاعي سنة(250هـ/864م) في خلافة المستعين بالله العباسي (248ــ252هـ /862ــ866م) حيث قام بقتله في نفس السنة. (ينظر: وكيع، 1947،ص196)، عامل محمد بن عبدالله بن طاهر فجمع أبو الحسن يحيى جمعاً كثيراً من الاعراب وأهل الكوفة وتوجه نحو الفلوجة(الطبري،1387،ص427؛ مسكويه، 1998،ص328).

فكتب عامل الكوفة إلى محمد بن عبدالله بن طاهر اخبره بحركة يحيى بن عمر العلوي وبأنه قام بأخذ كل ما في بيت مال الكوفة، وفتح السجون وأخرجَ من فيها فكتب محمد بن عبدالله بن طاهر إلى عماله بالكوفة ومعاون السواد يأمرهما بالاجتماع على محاربة يحيى العلويّ فحدثت مواجهة فيما بين عبدالله بن محمود السرخسيّ(وهو الذي تولى معاونيه السواد من قِبل محمد بن عبدالله بن طاهر. ينظر: الصفدي، 2000،ص89)، ومن معه وبين يحيى واتباعه، فانهزم عبدالله وأخذ أتباع يحيى ما كان معهم من الدواب والمال وخرج يحيى إلى سواد الكوفة مع من اتبعه من الزيدية وجماعة من أهل تلك النواحي فأقام بالبستان، وكثر جمعه فوجه محمد بن عبدالله إلى محاربته الحسين بن إسماعيل(ت273هـ/887م)(وهو الحسين بن أسماعيل بن أبراهيم بن مصعب الطاهري نسبة إلى طاهر بن الحسين، وقد تولى عدة مناصب بعهد اكثر من خليفة فقد عين على حرس المتوكل ثم عمل والي شرطة في عهد المستعين بالله. ينظر: الصفدي، 2000،ص423) فسار إليه حتى نزل الكوفة وتجهز هو ومن معه لمنازعة يحيى بن عمر والقضاء عليه، فاجتمعت الزيدية مع يحيى بن عمر فأشاروا عليه بالدعوة إلى الرضا من آل محمد(u) فاجتمع الناس حوله وأحبوه وتولاه العامة من أهل بغداد، وبايعه جماعة من أهل الكوفة ممن له مكانة وتدبير وبصيرة في تشيعهم ودخل فيهم أخلاط لا ديانة لهم، فأقام يحيى بالكوفة يعد العدد ويهيئ السلاح فأشار جماعة من الزيدية على يحيى بن عمر العلويّ ممن لا علم لهم بالحرب ولا خبرة بالتعجل في مواجهة الحسين بن إسماعيل فأخذ يحيى بتلك المشورة فزحف إليه ليلة الاثنين لثلاث عشر خلت من رجب ومعه جماعة من أهل الكوفة ممن ليس لهم علم ولا شجاعة فأسروا ليلتهم، ثم أرسل الحسين أتباعه لمواجهة أصحاب يحيى من أهل الكوفة فهزمهم وكان أكثر أهل الكوفة بغير سلاح فانهزموا بسهولة ولقيَ يحيى بن عمر حتفه وقطع رأسه وحمل الرأس إلى الخليفة

المستعين بالله ونصب بباب العامة بسَر مَنْ رأى(الطبري،1387،ص430؛ النويري،2004،ص76؛ ابن كثير،1998،ص9).

ومما تقدم يبدو أنَّ يحيى خرج على حكم العباسيين بسبب تردي الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة والظلم والجور الذي حلَّ بالرعية، وأهداف ثورته لم تكن من أجل الحصول على المال فحسب، بل كان يهدف إلى إقامة العدل وإرجاع الحق الى أهله.

تعد هذه الحادثة واحدة من أشد الأخطار التي واجهتها حكومة المستعين بالله(248ــ252هـ/862ـ866م)؛ لأنَّها هددت سلطة الخلافة من خلال ما قام به يحيى بن عمر بالسيطرة على مركز مهم من مراكز الدولة ألاّ وهو الكوفة والتفاف الناس حوله ومبايعته وهو ما ساعد على زعزعة مركز الدولة واضعاف أمنها ومكانتها هناك، وكاد ينجح في انتزاع سلطان الخليفة المستعين بالله لولا المشورة غير المدروسة لجماعة من الزيدية التي أخفقت في إنجاح الأمر الذي وضعت من أجله وأودت بحياة عمر بن يحيى والعديد من الأشخاص المتورطين في هذا الامر.

وحضرت المشورة بقوة عندما تعرضت الدولة العباسية لخطر الزنج (255ــ270هـ/869 ــ883م)(للتفاصيل ينظر: علي،2007، ص75وما بعدها؛ السامر،د.ت،ص63ومابعدها) إذ كان الموفق العباسي (227ــ278هـ/841ــ891م) يوجه الكثير من المشورات لأصحابه للتخلص من خطر الزنج فعندما كانت الثورة قائمة أرسل صاحب الزنج(بهبوذ) (ت270هـ/884م)(صاحب الزنج: وهو اللقب الذي أطلقه المؤرخون على علي بن محمد المعروف بصاحب الزنج هو ثائر عرف بقيادته لثورة عارمة ضد الخلافة العباسة سميت(بثورة الزنج) قيل في نسبه أنه(عليّ بن محمد بن أحمد بن عليّ بن عيسى بن زيد عليّ بن الحسين بن عليّ بن ابي طالب(u) وقيل هو من عبد القيس وكان يغير نسبه تبعاً للظروف ولد في الري. ينظر: الصفدي، 2000،ص268) جيوشه في سنة (262هـ/876م) إلى ناحية البطيحة(وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة، وكانت قديماً قرى متصلة وأرضاً عامرة، فاتّفق في أيام كسرى أبرويز أنَّ زادت دجلة زيادة مفرطة وزاد الفرات فتبطح الماء في تلك الديار. ينظر: ياقوت الحموي،د.ت،ص450) ودست ميسان(كورة جليلة بين واسط والبصرة والأهواز وهي إلى الأهواز أقرب، قصبتها بسامتى، وليست ميسان لكنها متصلة بها، وقيل: دستيمسان كورة قصبتها الأبلّة فتكون البصرة من هذه الكورة. ينظر: ياقوت الحموي،د.ت،ص455).

وكان سبب ذلك أنَّ تلك النواحي قد خلت من العساكر؛ بسبب انشغال الدولة العباسية بمحاربة يعقوب بن الليث الصفاري(ت265هـ/879م)(هو أبو يوسف كان هو واخوه يعمل في صفره حرفة النحاس في

سجستان وهو مؤسس الدولة الصفارية المناوئة للخلافة العباسية بدأ بالسيطرة على البلاد سنة(253هـ/867م) حيث تسلم حكم سجستان وزحف إلى النواحي الاخرى. ينظر: الصفدي،2000،ص52)، مما اتاحت الفرصة أمام صاحب الزنج فبث فيها سراياه تنهب وتخرب فعموا في البلاد فساداً فخرجت جيوش العباسيين لمواجهتهم ودارت بينهم معارك طاحنة(الطبري،1387،ص26؛ ينظر: الدوري،1945، ص86).

وتفاقمت الأمور في سنة(269هـ/883م) فأشار الموفق بالنداء بالأمان في أصحاب صاحب الزنج(بهبوذ) فسارعوا إليه فألحقهم في العطاء، ورأى الموفق أنَّه يتعذر عليه العبور إلى الزنج في الأوقات التي تهب فيها الرياح لتحرك الأمواج، فعزم على أنْ يوسع لنفسه ولأصحابه موضعاً في الجانب الغربي فأشار بقطع النخل وإصلاح المكان وأنْ يعمل له الخنادق والسور ليأمن البيات، وجعل حماية العاملين فيه نوباً على قواده، فعلم صاحب الزنج وأصحابه أنَّ الموفق إذا جاورهم قرب على من يريد اللحاق به المسافة مع ما يدخل قلوب أصحابه من الخوف وانتقاض تدبيره عليه فعملوا على منع الموفق من ذلك وبذلوا الجهد فيه وقاتلوا أشد قتال(ابن الجوزي،1992،ص69).

وقد عصفت الريح في بعض تلك الأيام وقائد من القواد هناك، فأنتهز صاحب الزنج الفرصة في إنفاذ هذا القائد وانقطاع المدد عنه، فسير إليه جميع أصحابه فقاتلوه فهزموه، وقتلوا كثيراً من أصحابه، ولم يجد الشذوات(الشذاة: ضرب من السفن الصغار اشتهر استعمالها في الجيش العباسي. ينظر: ابن منظور،1414،ص435؛ عثمان،د.ت،ص371) التي لأصحاب الموفق سبيلاً إلى القرب منهم خوفاً من الزنج أنْ تلقيها على الحجارة فتنكسر، فغلب الزنج عليهم وأكثروا القتل والأسر، ومن سلم منهم ألقى نفسه في الشذوات وعبروا إلى الموفقية(وهي أحد الأقضية التابعة لمحافظة واسط في العراق وتقع على الجانب الغربي لنهر الغرّاف وإلى الشمال من مدينة الحي، سميت بهذا الاسم نسبة إلى الخليفة العباسي الموفق بالله الذي عسكر مع جيشه لمدة سنتان في هذه الأرض. ينظر: ياقوت الحموي،1979،ص67) فعظم ذلك على الناس ونظر الموفق فرأى أنَّ نزوله بالجانب الغربي لا يأمن عليه حيلة الزنج وصاحبهم وانتهاز الفرصة:" لكثرة الأدغال وصعوبة المسالك وأن الزنج أعرف بتلك المضايق وأجرأ عليها من أصحابه فترك ذلك وجعل قصده إلى هدم سور الفاسق وتوسعة الطريق والمسالك، فأمر بهدم السور من ناحية النهر المعروف بمكني وباشر الحرب بنفسه وأشتد القتال وكثر القتل والجراح من الجانبين ودام ذلك أياماً عدّة، وكان أصحاب الموفق لا يستطيعون الولوج لقنطرتين كانتا في نهر مكنى كان الزنج يعبرون عليهما وقت القتال فيأتون أصحاب الموفق من وراء ظهورهم فينالون منهم فعمل الحيلة في إزالتهما، فأمر أصحابه بقصدهما عند اشتغال الزنج وغفلتهم من حراستهما وأمرهم أنْ يعدوا الفؤوس والمناشير وما يحتاجون إليه من الآلات فقصدوا القنطرة

الأولى نصف النهار فأتاهم الزنج لمنعهم فاقتتلوا فأنهزم الزنج وكان مقدمهم أبو الندى فأصابه سهم في صدره فقتله وقطع أصحاب الموفق القنطرتين ورجعوا)"الطبري،1387ص88).

بعد ذلك ألح الموفق بالله(257ــ278هـ/870ــ891م) على صاحب الزنج بالحرب وهدم أصحابه من السور ما أمكنهم، ودخلوا المدينة وقاتلوا فيها وانتهوا إلى دار ابن سمعان وسليمان بن جامع(سليمان بن جامع: وهو أحد قادة الزنج العسكريين ومن أصحاب صاحب الزنج. ينظر: الصفدي،2000،ص55)، فهدموهما ونهبوا ما فيهما، وانتهوا إلى سويقة للخبيث سماها الميمونة فهدمت وأخربت، وهدموا دار الجبائي(الجبائي: أحمد بن مهدي الجبائي أحد القواد العظماء من الزنج، رماه أبو العباس بسهم فأصاب أحد منخريه، فخر صريعاً، وحمل من المعركة وهو حي، فسأل أنَّ يحمل إلى الناجم فحمل من هناك إلى نهر أبي الخصيب إلى مدينة الناجم التي سماها المختارة، فوضع بين يديه، وهو على ما به، فمكث الجبائي يعالج هنالك أياماً ثم هلك، فاشتد جزع الناجم عليه، وصار إليه فولى غسله وتكفينه والصلاة عليه. ينظر: الصفدي،2000،ص66) وانتهبوا ما كان فيها من خزائن الفاسق، وتقدموا إلى الجامع ليهدموه فاشتد محاماة الزنج عنه، فلم يصل إليه أصحاب الموفق؛ لأنَّه كان قد خلص مع صاحب الزنج نخبة أصحابه وأرباب البصائر، فكان أحدهم يقتل أو يجرح فيجذبه الذي إلى جنبه ويقف مكانه(الطبري،1387،ص36؛ مسكوية، 1998،ص471).

فلما رأى الموفق ذلك أمر أبا العباس بقصد الجامع من أحد أركانه للهدم ونصب السلاليم، ففعل ذلك وقاتل عليه أشد قتال فوصلوا إليه فهدموه فأخذ منبره فأتى به الموفق, ثم عاد الموفق لهدم السور فأكثر منه، وأخذ أصحابه دواوين صاحب الزنج وبعض خزائنه فظهر للموفق أمارات الفتح، فإنهم لعلى ذلك إذ وصل سهم إلى الموفق فأصابه في صدره رماه به رومي كان مع صاحب الزنج اسمه قرطاس، وذلك لخمس بقين من جمادى الأولى فستر الموفق ذلك وعاد إلى مدينته وبات ثم عاد إلى الحرب على ما به من ألم الجراح ليشتد بذلك قلوب أصحابه، فزاد في علته وعظم أمرها حتى خيف عليه، واضطرب العسكر والرعية وخافوا، فخرج من مدينة جماعة وأتاه الخبر وهو في هذه الحال بحادث في سلطانه، فأشار عليه أصحابه وثقاته بالعود إلى بغداد ويخلف من يقوم مقامه فأبى ذلك وخاف أنْ يستقيم من حال صاحب الزنج ما فسد، وأحتجب عن الناس مدة ثم برأ من علته وظهر لهم ونهض لحرب صاحب الزنج وكان ظهوره في شعبان من هذه السنة(المقدسي،1916،ص124؛ ابن الاثير،1966،ص376؛ ابن كثير، 1998، ص50؛ فوزي، د.ت، ص36)

فكانت حركة الزنج حركة خطرة هددت كيان الدولة العباسية في الصميم، وبإخماد الثورة أُسدلّ الستار على هذه الحركة التي قضت مضاجع الخلافة العباسية وكلفتها الكثير من الجهد والأموال والارواح واشغلتها اكثر من(15) عاماً.

فرضت ظروف الخلافة السيئة وسيطرة الأتراك حركة فكرية ذات أساس دينيّ وسياسيّ واجتماعيّ وهي حركة القرامطة إذ تعد من الأخطار الأخرى التي شهدتها الدولة العباسية ذلك أنَّ وصول القرامطة(القرامطة: هي إحدى فرق الشيعة الإسماعيلية، تدعو إلى إمامها المهدي، محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق(u)، ظهرت بسواد الكوفة في النصف الثاني من القرن الثالث هجري، عملت على الإطاحة بالخلافة العباسية، منتهجة في ذلك تنظيمات دقيقة محاطة بالسرية والكتمان، تحرزاً من رد فعل الخلافة العباسية، وبعد أنَّ سطرت أهدافها، واستكملت تنظيماتها، وضمت أتباعها، خرجت من قوقعة السر إلى العمل الثوري المسلح مستغلة في ذلك تذمر العامة من الأوضاع المزرية، فاتخذت منها ذريعة أو سبباً. ينظر: البغدادي،1977، ص263) إلى العراق وقتل يوسف بن ابي الساج(ت315هـ/927م)(وهو من كبار رجال الدولة العباسية، ومن قوادها المشهورين قلده المقتدر في سنة(314هـ/926م) نواحي المشرق، وأمره بالقدوم إلى بغداد من أذربيجان، والمسير إلى واسط، ليسير إلى هجر لمحاربة أبي طاهر القرمطي، وحاربه فقتله القرمطي، وأيضاً مؤسس الأسرة الساجية التي نسبت إليه وقد حكمت هذه الأسرة في أذربيجان تحت السيادة الأسمية للخلفاء العباسيين في نهاية القرن الثالث الهجري. ينظر: الذهبي،1993،ص149) في سنة(315هـ/927م) زعزع الأمن في جميع البلاد، إذْ وردت الأخبار بمسير أبي طاهر القرمطي (وهو سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي الهجري، نسبته إلى جنابة من بلاد فارس اشتهر بغارة شنها على مكة يوم التروية سنة(317هـ/929م) والناس محرمون، ونهب أموال الحجاج وقتل منهم الكثير وأقتلع الحجر الأسود وأرسله إلى هجر عشرون سنة. ينظر: ابن الجوزي،1965، ص16؛ الذهبي،1987،ص13) من هجر(هجر: مدينة بالبحرين، أول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة هجر أبو طاهر القرمطي. ينظر: البغدادي، 1412،ص36) نحو الكوفة، ثم وردت الأخبار من البصرة بأنه اجتاز قريباً منهم نحو الكوفة، فكتب الخليفة المقتدر بالله(295ـ320هـ/908ـ932م) إلى يوسف بن أبي الساج يعرفه هذا الخبر ويأمره بالتوجه نحو الكوفة، فسار إليها عن واسط آخر شهر رمضان من السنة المذكورة، وقد أعد بالكوفة المكان له ولعسكره، فلما وصلها أبو طاهر الهجري هرب نواب السلطان عنها واستولى عليها أبو طاهر وعلى الإنزال والعلوفات، وكان فيها مائة كر(كر: وهو ميكال بابلي الأصل كان يساوي من حيث الأساس30 كارة =60 قفيزاً كل قفيز 8 مكاكيك، وكان كر القمح =2925كغم، وكر الشعير=2437,5. ينظر: هنتس،1970، ص69ـ70) دقيقاً وألف كر شعيراً وكان قد فني ما معه من الميرة والعلوفة فقووا بما أخذوه، ووصل يوسف إلى الكوفة بعد وصول القرمطيّ بيوم واحد فحال بينه وبينها وكان وصوله يوم الجمعة ثامن شوال فلما وصل أرسل إليهم يدعوهم إلى طاعة المقتدر فإنْ أبوا فموعدهم الحرب يوم الأحد فقالوا:" لا طاعة علينا إلا لله تعالى والموعد بيننا للحرب بكرة غد، فلمّا كان الغد ابتدأ أوباش العسكر بالشتم ورمي الحجارة ورأى يوسف

قلة القرامطة فأحتقرهم وقال أنَّ هؤلاء الكلاب بعد ساعة في يدي وتقدم بأن يكتب كتاب الفتح والبشارة بالظفر قبل اللقاء تهوانا بهم، وزحف الناس بعضهم إلى بعض فسمع أبو طاهر أصوات البوقات والزعقات فقال لصاحب له ما هذا فقال فشل فقال أجل لم يزد على هذا فاقتتلوا من ضحوة النهار يوم السبت إلى غروب الشمس وصبر الفريقان فلما رأى أبو طاهر ذلك باشر الحرب بنفسه ومعه جماعة يثق بهم وحمل بهم فطحن أصحاب يوسف ودقهم فانهزموا بين يديه وأسر يوسف وعدداً كثيراً من أصحابه وكان أسره وقت المغرب وحملوه إلى عسكرهم ووكل به أبو طاهر طبيباً يعالج جراحه"(الصولي، 2004،ص268).

وورد الخبر إلى بغداد بذلك فخاف الخاص والعام من القرامطة خوفاً شديداً وعزموا على الهرب إلى حلوان(وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد، وقيل: إنها سميت بحلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة كان بعض الملوك أقطعه إياها فسميت به(ينظر: ياقوت الحموي،1979،ص290) وهمذان ودخل المنهزمون بغداد أكثرهم رجالة حفاة عراة، فبرز مؤنس المظفر ليسير إلى الكوفة فأتاهم الخبر بأن القرامطة قد ساروا إلى عين التمر(عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له شفاثا، منهما يجلب القصب والتمر إلى سائر البلاد، وهو بها كثير جداً، وهي على طرف البرية، وهي قديمة أفتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد في سنة(12هـ/633م)، وكان فتحها عنوة فسبى نساءها وقتل رجالها. ينظر: ياقوت الحموي،1979،ص174) فأنفذ من بغداد خمسمائة سميرية(سميرية: ضرب من السفن النهرية. ينظر: ابن منظور،1414 ،ص378) فيها المقاتلة لتمنعهم من عبور الفرات وسير جماعة من الجيش إلى الأنبار لحفظها ومنع القرامطة من العبور هنالك، ثمّ أنَّ القرامطة قصدوا الانبار فقطع أهلها الجسر ونزل القرامطة غرب الفرات وأنفذ أبو طاهر أصحابه إلى الحديثة(الحديثة: وهى حديثة النورة فوق هيت، ولها قلعة حصينة في وسط الفرات، والماء يحيط بها. ينظر: البغدادي،1412،ص387) فأتوه بسفن ولم يعلم أهل الأنبار بذلك وعبر فيها ثلاثمائة رجل من القرامطة فقاتلوا عسكر الخليفة فهزموهم وقتلوا منهم جماعة واستولى القرامطة على مدينة الأنبار وعقدوا الجسر وعبر أبو طاهر جريدة وخلف سواده بالجانب الغربي (القرطبي، د.ت،ص43).

ولمّا ورد الخبر بعبور أبي طاهر إلى الأنبار خرج نصر الحاجب في عسكر جرار فلحق بمؤنس المظفر فأجتمع معه جمع كبير وكان ممن معه أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان(عبد الله بن حمدان بن حمدون والد سيف الدولة وناصر الدولة وهو أول من ولي الموصل من بني حمدان. ينظر: الصفدي،2000،ص221) وساروا حتى بلغوا نهر زبارا(موضع من نواحي الكوفة. ينظر: ياقوت الحموي، 1979،ص57) على فرسخين من بغداد عند عقرقوف(عقرقوف: وهى قرية من نواحلي دجيل، بينها وبين بغداد أربعة فراسخ. ينظر: ياقوت

الحموي،1979،ص137) فأشار أبو الهيجاء بن حمدان بقطع القنطرة التي عليه فقطعوها وسار أبو طاهر ومن معه نحوهم فبلغوا نهر زباراً(القرطبي، د.ت، ص44).

وأراد القرامطة العبور فلم يمكنهم لأن النهر لم يكن فيه مخاضة ولما أشرفوا على عسكر الخليفة هرب منهم خلق كثير إلى بغداد من غير أنْ يلقوهم فلما رأى أبن حمدان ذلك قال لمؤنس:" كيف رأيت ما أشرت به عليكم؟ فو الله لو عبر القرامطة النهر لأنهزم كل من معك ولاخذوا بغداد ولمّا رأى القرامطة ذلك عادوا إلى الأنبار)"ابن الاثير،1966،ص172).

وبعد ذلك سير مؤنس المظفر صاحبه يلبق(ت321هـ/933م)(يلبق: وهو أحد القادة العباسيين وممن ساعد على قتل المقتدر وقد قتله القاهر بالله. ينظر: الذهبي،1993،ص55) في ستة آلاف مقاتل إلى عسكر القرامطة غربي الفرات ليغنموه ويخلصوا أبن أبي الساج فبلغوا إليهم وقد عبر أبو طاهر الفرات فلما رآه أصحابه قويت قلوبهم ولما أتاهم عسكر مؤنس كان أبو طاهر عندهم فاقتتلوا قتالاً شديداً فأنهزم عسكر الخليفة، ونظر أبو طاهر إلى أبن أبي الساج وهو قد خرج من الخيمة ينظر ويرجو الخلاص وقد ناداه أصحابه أبشر بالفرج فلما انهزموا حضره وقتله وقتل جميع الأسرى من أصحابه وسلمت بغداد من نهب العيارين(العيارين: حركة انتشرت في بغداد، وركزوا هجماتهم على بيوت الأغنياء وكبار التجار والمتنفذين وأصحاب الشرط، وجاءت هذه الحركة نتيجة سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية. ينظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، د.ت، ص645) لأنَّ نازوك(من أخطر الشخصيات التركية التي كانت في بلاط المقتدر، فقد كان خادمه ثم أصبح عامله على دمشق، ثم صاحب شرطته ببغداد وفى سنة(317هـ/929م) أشترك في خلعه فقتل وكان قد قتل ابن الفرات شر قتلة. ينظر: الذهبي،1993،ص374) كان يطوف هو وأصحابه ليلاً ونهاراً ومن وجدوه بعد العتمة قتلوه فأمتنع العيارون، واشترى كثير من أهل بغداد سفناً ونقلوا إليها أموالهم وربطوها لينحدروا إلى واسط وفيهم من نقل متاعه إلى واسط وإلى حلوان ليسيروا إلى خراسان(الخطيب البغدادي،1997،ص223).

وقصد القرامطة مدينة هيت وكان الخليفة المقتدر بالله (295 ـ320هـ/908ــ932م) قد سير إليها سعيد بن حمدان(سعيد بن حمدان: فارس شجاع كان أميراً في نهاوند ثم عهد له المقتدر العباسي سنة(315هـ/927م) بصد غزو القرامطة لمنطقة هيت فحماها منهم ثم عين والياً على النهروان وواسط ثم كلف بمهام في بغداد، ثم ولاه المقتدر الموصل وديار ربيعة وشرط عليه غزو الروم. ينظر: الذهبي،1961،ص203) وهارون بن غريب(هارون بن غريب: قائد من ولاة العصر العباسي كان أبوه خال الخليفة المقتدر بالله فعرف بابن الخال وكانت إقامته ببغداد ينتدبه الخليفة للمهمات، إلى أنَّ مات أبوه سنة (305هـ/918م) فقلده المقتدر أعمال أبيه وخلع عليه وعقد له اللواء بذلك وكانت له يد في قمع ثورة ببغداد

سنة (308هـ/921م) وقاتل القرامطة في واسط سنة (316هـ/928م) فقتل جماعة منهم وأرسل الأسرى إلى بغداد. ينظر: الذهبي،1961،ص172) فلما وصلها القرامطة رأوا عسكر الخليفة قد سبقهم فقاتلوهم على السور فقتلوا من القرامطة جماعة كثيرة فعادوا عنها، ولما بلغ أهل بغداد عودهم من هيت سكنت قلوبهم، وجاء شخصاً إلى علي بن عيسى وأخبره أنَّ في جيرانه رجلاً من شيراز(شيراز: بلد عظيم مشهور مذكور وهو في بلاد فارس. ينظر: البغدادي،1412،ص824) على مذهب القرامطة يكاتب أبا طاهر بالأخبار فأحضره وسأله واعترف فأمر به فضرب ضرباً شديداً ومنع الطعام والشراب فمات بعد ثلاثة أيّام (مسكوية،1998،ص251؛ ابن خلدون،1971،ص 376، ابن الاثير،1966،ص173؛ النويري،2004،ص72).

ولا يعنينا الدخول في تفاصيل هذه الحركات لإسهاب كثير من الدراسات في تفصيلاتها، إلاّ أنَّ ما نستهدفه هو طبيعة المشاورات والمداولات وتبادل الآراء التي تمخض عنها تصرف أو موقف وقرار، فضلاً عن تقرير اسلوب المواجهة، بما يكشف عن أنَّ القرار الذي يصدر ما هو إلاّ نتيجة لعمل جماعي وامتزاج لكثير من الخبرات والعقول.

الاستنتاجات:

1ــ كان بعض الخلفاء يرفضون بعض المشورات التي يرونها غير سليمة، فعلى اثر كثرة مؤامرات الأتراك ضد الخليفة المتقي بالله واضطراب الأوضاع في بغداد مقر الخلافة سنة (333هـ/945م) بسبب انتشار العابثين فيها وإفسادهم في المدينة ووصول إخبارها إلى الخليفة وما عمها من الفوضى وفقدان الأمن والاضطرابات فقد استشار الخليفة المتقي بالله محمد بن طغج الاخشيدي من خلال ارسال مكتوب إليه يشكو به الحال فأتاه من مصر ووقف امامه واشار عليه بأن يسير معه إلى مصر والاقامة فيها فلم يجبه إلى ذلك فعاد الاخشيد إلى مصر.

2ــ أنَّ الممارسات الفعلية لبعض الخلفاء العباسيين في المدة مجال الدراسة لم تجسد ما نسب إليهم من اقوال تنص على استبدادهم بالرأي والأنفة عن قبول المشورة وأنَّ صحت في بعض الحالات فهي لا تعمم إذ لم تكن تمثل واقعاً سياسياً عاماً وإليه في الحكم بقدر ما كانت تستهدف مساعدة الخليفة على مواجهة منافسيه والحفاظ على نظامهم، ويؤكد ذلك أنَّ حكم بعضهم لم يكن فردياً قسرياً يقوم على الرأي الواحد والقرار الواحد، إذ أنَّ اغلبية خلفاء بني العباس في هذه المدة، قد تسلموا منصب الخلافة وهم حديثي السن، بفعل النظام الوراثي الضيق، ومهما تكن طبيعة ثقافتهم التي اكتسبوها في نشأتهم الاولى، فهم قليلي الخبرة والتجربة في ادارة امبراطورية واسعة الاطراف، متنوعة الاجناس والاعراق، وهذا ما حتم عليهم السماح للأخرين لمشاركتهم

في هذه الادارة وتقرير سياستها، فكانت القيادة جماعية، وهذا اتاح لفئات كثيرة ومتنوعة لانَّ يكون لهم دور فاعل في تقديم المشورة وتقرير سياسة الخلافة، سواء من داخل الجهاز الإداري أو من خارجه.

3ـ حرص الخلفاء العباسيون على اعتماد المشورة في معالجة المشاكل التي تواجههم وفي حل القضايا العالقة عندهم، إلاّ أنَّ بعضاً من المستشارين قد انحرف بقصد أو من دون قصد عن مسار النصح والارشاد مغلباً في ذلك مصالحه الشخصية على المصالح العامة، وكان ممن يمثلهم في ذلك الأتراك والبويهيين الذين اتبعوا ذلك التوجه تجاه القوى المعارضة لحكمهم في فترات مختلفة.

قائمة المصادر والمراجع:

1ــ ابن الاثير، عز الدين،(1966)، الكامل في التاريخ، د. ط، بيروت، دار صادر.

2ــ الاصفهاني، علي بن الحسين،(د.ت)، مقاتل الطالبين، د. ط، بيروت، دار المعرفة.

3ــ البغدادي، ابي منصور،(1977)، الفرق بين الفرق، ط2، بيروت، دار الآفاق الجديدة.

4ــ البغدادي، عبد المؤمن،(1412)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط1، بيروت، دار الجيل.

5ـ ابن الجوزي، ابي الفرج جمال الدين،(1965)، القرامطة،ط1، بيروت، المكتب الإسلامي.

6ـ ــــــــــ،(1992)، المنتظم في تاريخ الامم والملوك، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

7ــ الخطيب البغدادي، ابي بكر،(1997)، تاريخ بغداد،ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

8ــ ابن خلدون، عبد الرحمن،(1971)، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، د. ط، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

9ــ الذهبي، أبو عبد الله،(1987)، تاريخ الاسلام، ط1، لبنان، دار الكتاب العربي.

10ــ ــــــــــ،(1993)، سير أعلام النبلاء، ط9، بيروت، مؤسسة الرسالة.

11ــ ــــــــــ،(1961)، العبر في خبر من غبر، د. ط ، الكويت، التراث العرابي.

12ـ الشهرستاني, محمد بن عبدالكريم،(1982)، الملل والنحل, د. ط، بيروت، دار المعروفة.

13ــ الصفدي، صلاح الدين(2000)، الوافي بالوفيات، د. ط، بيروت، دار احياء التراث.

14ــ الصولي، أبو بكر،(2004)، الأوراق، د. ط، د. م، شركة الأمل.

15ــ الطبري، ابي جعفر،(1387)، تاريخ الرسل والملوك، ط2، بيروت، دار التراث.

16ــ ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا،(1997)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، ط1، بيروت، دار القلم العربي.

17ــ القرطبي، عريب بن سعد،(د.ت)، صلة تاريخ الطبري، د. ط، بيروت، مؤسسة الاعلمي.

18ــ ابن كثير, عماد الدين،(1998)، البداية والنهاية، ط1، الجيزة، دار هجر.

19ــ المسعودي، ابي الحسن،(1984)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط2، قم، دار الهجرة.

20ــ مسكوية، ابو علي احمد،(1998)، تجارب الامم وتعاقب الهمم، ط1، طهران، دار سروش.

21ــ المقدسي، ابو زيد،(1916)، البدء والتاريخ، د. ط، باريس.

22ــ المقريزي، تقي الدين،(1978)، الخطط المقريزية(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت.

23ــ ابن منظور، محمد بن مكرم،(1414)، لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر.

24ــ النعمان، القاضي أبي حنيفة النعمان،(د.ت)، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، د. ط، قم، مؤسسة النشر الإسلامي.

25ــ النويري، شهاب الدين،(2004)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

26ــ وكيع، محمد بن خلف،(1947)، اخبار القضاة، د. ط، القاهرة.

27ــ ياقوت الحموي، شهاب الدين،(1979)، معجم البلدان، د. ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

28ــ اليعقوبي، حمد بن أبي يعقوب بن جعفر،(د.ت)، تاريخ اليعقوبي، د. ط، بيروت، دار صادر.

المراجع:

1ــ ادهم، علي،(1940)، خاتمة بطل واقعة الزاب، د. ط، القاهرة.

2ــ الخضري بك، محمد،(2003)، محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية الدولة العباسية،ط1، القاهرة ، مؤسسة المختار.

3ــ الدوري، عبد العزيز،(1945)، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، د. ط، بغداد، شركة الرابطة.

4ــ السامر، فيصل،(د.ت)، ثورة الزنج، ط1، سوريا، دار الثقافة.

5ــ علي، أحمد،(2007)، ثورة الزنج وقائدها عّلي بن محمد(255ــ270هـ/869ــ883م)، د.ط، بيروت، دار الفارابي.

6ــ فوزي، فاروق عمر،(د.ت)، الخلافة العباسية السقوط والانهيار، ط1، عمان، دار الشروق.

7ــ ــــــــــ،(2009)، الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار، ط1، الاردن، دار الشروق.

8ــ محمد، محمد عوض،(د.ت)، الشعوب والسلالات الإفريقية،د.ط، د.م، الدار المصرية.

9ــ مصطفى واخرون، ابراهيم ـ واحمد الزيات ــ وحامد عبد القادر ــ محمد النجار،(د.ت)، المعجم الوسيط، د. ط، د. م، دار الدعوة.

10ــ هنتس، فالتر،(1970)، المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، د. ط، عمان.